

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما
(دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م.

**The city of Ain Salih and its environs in the mid-nineteenth
century through the book of Eugene Dumas (Dumas):
The Caravan Route from the Desert to the Hausa Kingdom
in 1848 AD.**

بوبكر محمد السعيد¹

¹ جامعة غرداية، boubkeur.msaid@univ-ghardaia.edu.dz.

تاريخ الإرسال: 2025 / 09 / 11 ؛ تاريخ القبول: 2025 / 10 / 27 ؛ تاريخ النشر: 2025 / 12 / 15

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمنطقة عين صالح وما حولها في منتصف القرن التاسع عشر من خلال تتبع قافلة تجارية تقطع المسافة ما بين متليلي بغرداية إلى منطقة عين صالح وذلك من خلال مصدر فرنسي للكاتب لاجين دوماس حيث له كتابان هما له هم لوصف منطقة عين صالح والقصور التي حولها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر هما: كتاب الصحراء الجزائرية والذي قدمه سنة 1845م وكتاب الصحراء الكبرى مسلك القوافل عبر الصحراء نحو مملكة الهوسا 1848م وإن كان الاعتماد الأكبر على الكتاب الثاني، نقل هذه الرحلة عن شخص من منطقة الهقار ومنه يمكن أن نستخلص من هذه الدراسة، أهم الحواضر التي تمر عليها القوافل وأهم البضائع بعض العادات والتقاليد كما يمكن أن نتعرف على قافلة ركب الحجاج .

الكلمات المفتاحية:

عين صالح، القوافل التجارية الصحراوية، أوجين دوماس، ركب الحجاج، طريق الهوسا

Abstract

This study aims to introduce the region of Ain Salah and its environs in the middle of the nineteenth century by following a commercial caravan traveling the distance between Metlili in Ghardaia to the region of Ain Salah, through a French source by the writer Lajeen Dumas, who wrote two books, his own, to describe the region of Ain Salah and the Ksour. The books that were written during the first half of the nineteenth century were: The Book of the Algerian Desert, which he presented in 1845 AD, and the book The Sahara Desert: The Path of Caravans

across the Desert towards the Hausa Kingdom, 1848 AD. Although the greatest reliance was on the second book, this journey was transmitted from a person from the Hagggar region, and from it we can conclude from This study examines the most important cities through which caravans pass and the most important goods, some counters and traditions. We can also learn about the caravan of pilgrims.

Keywords: Ain Salah, Desert Trade Caravans, Eugene Dumas, Pilgrims' Ride, Hausa Road

مقدمة:

إن أهمية تاريخ الصحراء الوسطى في الجزائر مثل منطقة عين صالح وما حولها ، خاصة في الفترة ما قبل دخول الاستعمار الفرنسي إليها، حيث تكمن أهميتها في أنها مسلك للقوافل الصحراوية التجارية خاصة إلى منطقة السودان الغربي، وكذا منطقة مرور لركب الحج وهذه الدراسات تقدم لنا تاريخ الصحراء السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والعمراني عبر العصور ضمن الإطار الوطني . تناول هذه الدراسة مسار قافلة صحراوية تنطلق من حاضرة متليلي بغرداية وصولاً حاضرة عين صالح سنة 1848م من خلال واحد من أهم المصادر التي اهتمت بالتعريف بالصحراء و هو كتاب طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م لـ لوجين دوماس و الذي ترجمه الأستاذ ناصر الدين سعيدوني، و تتمحور الإشكالية العامة لهذه الدراسة حول: هل يمكن اعتبار كتب الرحالة و المستكشفين الأوروبيين و تسجيلاتهم ، مصادر لكتابة تاريخ الصحراء عموماً و حاضرة عين صالح عموماً ؟ و هل قدمت لنا هذه المصادر نظرة صادقة من خلال محطات المحطات التي مرت بها عن أوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية خاصة في منتصف القرن التاسع عشر ؟ و هل فعلاً كتاب طريق القافلة قدم لنا فعلاً صورة حقيقية حول أهم محطات القوافل العابرة للصحراء من منطقة غرداية إلى منطقة السودان الغربية ؟ و هل هناك علاقة بين مسالك القوافل الصحراوية سواء كانت تجارية أو حجية و بين توفر الأمن و توفر الماء خاصة في منطقة عين صالح و ما جاورها ؟ و هل نستطيع تكوين صورة متكاملة عن القافلة الصحراوية من حيث مكوناتها و مهامها و أهدافها و طرقها ؟

1. دراسة تاريخ الصحراء الجزائرية وقضية نقص المصادر:

إشكالية تناثر المعلومات في المصادر يضطر الباحث إلى استحلاب نصوص صغيرة لاستغلالها في ميادين عدة وإشكالية تغير التسميات المناطق وتسميات القبائل عبر الزمن خاصة بين الفترة الوسيطة في بدايتها و الفترة الحديثة في نهايتها وإشكالية الجانب الأثري واندثار أغلب العمراني في أغلب المناطق الرملية في مناطق الصحراء وإشكالية البعد عن

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما (دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م

مراكز السلطة عبر التاريخ بالإضافة إلى عدم ظهور كيانات سياسية قوية في مناطق الصحراء. وإشكالية المناخ الحار و كبر المساحة وصعوبة التضاريس .

1.1. أنواع المصادر التي يمكن العودة إليها :

- مصادر محلية: المتمثلة في المخطوطات و الوثائق الأرشيفية مهما كان نوعها وشكلها ويترك قضية نقدها للباحثين المتخصصين.

- مصادر كتب الجغرافية التاريخية خاصة كتب الفترة الوسيطة.

- مصادر الرحلات وخاصة الرحلات الحجية أو التجارية أو الاستكشافية.

- المصادر الأوروبية: هي مصادر أغلبها في الصحراء حديثة ظهر أغلبها مع الاحتلال الفرنسي (أبو القاسم سعد الله ، 2017 ، ص 379-390). ، ولهذا فانه علينا أن نعرف كيف نأخذ منها فما له علاقة بالتاريخ الوسيط والحديث في مناطق الصحراء فأغلبه أما اخذ من مخطوطات أو وثائق أرشيفية استولوا عليها أو اخذ من الرواة تتطلب هذه المصادر خاصة والتي تمثل الجزء الأكبر ترجمة علمية جدية أولا لتصبح متاحة للجميع لقراءتها ثم نقدها نقدا علميا من طرف المتخصصين خاصة نقدها بالمقارنة مع الوثائق المحلية وكتابات المحلية .

1.2 فمن هو اوجين دوما:

هو ميلشور جوزيف أوجين دوما (Melchoir Joseph Eugene Daumas) من أصل سويسري ، عمل والده في جيش بانليون برتبة جنرال ، وانخرط هو في الجيش الفرنسي سنة 1822م ، عمل في الجزائر في بداية الأمر كراع للمصالح الفرنسية في عاصمة الأمير معسكر سنة 1837م ، ثم أصبح مسئول مكتب الأهالي أو الشؤون العربية بمقاطعة وهران سنة 1839م بعد عودة القتال بين الأمير عبد القادر والفرنسيين ثم عين مديرا عام لشؤون الأهالي حني أصبح الجنرال بيجو حاكما على الجزائر سنة 1841م ، ويمكن اعتباره هو مهندس ومؤسس ما يعرف بالمكاتب العربية ، ثم أصبح بعد ذلك عضوا في مجلس الشيوخ (ناصر الدين سعيدون ، 2019 ، ص 103). ونظرا لمنصبه فقد اهتم فعلا بتسجيل شؤون الأهالي خاصة في الصحراء ، بصفة عامة من جميع النواحي ، وبعد رحل بيجو عن الحكم في الجزائر استقال من منصبه ، حيث عاد إلى الخدمة العسكرية بالجزائر ثم رقي إلى رتبة جنرال وعين رئيس مصلحة شؤون الجزائر بوزارة الحربية الفرنسية بباريس سنة 1857م.

1.2.1 أهم مؤلفاته

- الصحراء الجزائرية و الذي قدمه سنة 1845 م والذي يعتبر تقرير عام عن الصحراء اهتم فيه خاصة بالمسالك التجارية والقبائل والقصور و الزراعة في الصحراء .

- أخلاق و عادات الجزائر خصص ثمان فصول منه حول الصحراء فقط من الفصل 16 إلى الفصل 24 حيث أن الفصل 21 خصصه رحلة عبر الصحراء من أولاد سيدي الشيخ إلى بلاد السودان .

- الصحراء الكبرى مسلك القوافل عبر الصحراء نحو مملكة الهاوسا 1848م ورحلة متخيلة اعتمد فيها على ما روي له تفاصيل دقيقة عن مسار القافلة الصحراء الوسطى مفصلة بمعلومات حقيقية يعني انه لم يقم بها واقعا وإنما أخذها من رواة قاموا بها فعلا (علي بريغيث: سنة 2020، ص، 93-95).

ولهذا سأعتمد على كتابين له هم لوصف منطقة عين صالح و القصور التي حولها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر هما: كتاب الصحراء الجزائرية والذي قدمه سنة 1845 م وكتاب الصحراء الكبرى مسلك القوافل عبر الصحراء نحو مملكة الهاوسا 1848م وإن كان الاعتماد الأكبر على الكتاب الثاني، نقل هذه الرحلة عن شخص من منطقة الهقار.

3- الرحلة الصحراوية و متطلباتها :

قائد او دليل الرحل و هو رجل تارقي يسمى شقون و الذي كان متزوج في متليلي منذ سنة 1839م تنقل كثيرا مع قوافل الصحراء إي أن له علاقة وطيدة مع شعانة متليلي (محمد عبد الحليم بيشي: 2013، ص 33-36). و(عبد الحميد مسعود بن ولهة: 2013 ص 20-36). ، نقل عنه تقريبا كل تفاصيل هذه الرحلة حيث يعمل دليلا للقوافل في الصحراء بين بلاد توات والسودان (ناصر الدين سعيدوني: 2019، ص 61-67). تتكون القافلة من منير أو خبير وهو الدليل و هو تقريبا السيد فيها و هناك الشوافة الذين يرافقون القافلة ويعرفون البلدان و الخوجة وهو من يكون يوثق الصفقات بالكتابة و يحفظ الوصايا ويقسم الميراث في حالة وفاة احد مرافقي الرحلة والبراح الذي يقوم بالإعلانات عن أي أمر والمؤذن مهمته الأذان للصلاة و الإمام مهمته القيام بالصلوات.

يبقى أهم ما في القافلة هو الخبير والذي يعرف مناطق المرور وزعماء القبائل التي يمرون عليها وعقليتهم ويعرف كيف يداوي المرضى ويعالج الكسور واللدغات ويعرف الأماكن والاتجاهات من خلال لون الرمال والإعشاب والنجوم وهو المسؤول الأول عنها في حالة أي إخلال أو تعرض القافلة لأي خر يتحمل المسؤولية كاملة ويغرم حتى على القتل بسبب العصابات المهم أي خطأ يكون هو سببه يتحمل مسؤوليته كاملة ، ولهذا فهو دوما يخاف من تطبيق القانون عليه (دوماس : 2013 : ص 391). هذا الخبير التارقي له زوجات في اغلب المناطق التي يمر بها زوجة في توات و أخرى في عين صالح و أخرى في الهقار ولهذا فهو معروف عند الغالبية

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما (دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م

تعتبر حاضرة عين صالح نقطة التقاء كل قوافل الغرب و هي آخر نقطة إلى الجنوب من بلاد توات ، ثم يقدم لنا أهمية التجارة مع السودان أنها سبب الثراء لدرجة انه ينسب حديث للرسول صل الله عليه و سلم يقول فيه (الجرب دواءه القطران و الفقر دواءه السودان)) ويردف قائلاً أن الوصول إلى تيميمون لا يعني أي شيء أنها السفر الحقيقي يكون لبلاد الزنوج بالسودان حيث الذهب والعبيد والجلود والنعام والعاج. ثم يتكلم عن انطلاقه بالرحلة رفقة 15 فرداً من عرش أولاد زيغم من متبلي والذين تمولوا بالضائع من بلاد ميزاب (يوسف بن بكير الحاج سعيد: 2014، ص 51-56). (بيشي رحمة و ثابت جميلة: 2014، ص 34-37).

كانت أغلبها من الأعشاب الطبية والعطرية والمنتجات والكبريت والزجاج والأوراق ومظلات السعف والحديد (دوماس : 2013، ص 386) ولكل واحد من الجماعة ثلاث جمل وكان الانطلاق من متبلي يوم الخميس في نهاية شهر أوت حيث يبدأ الجو في الاعتدال بعض الشيء (الشيخ لكحل: 2019، ص 71-79). ثم حان موعد توديع الوعد فقدم أمة متبلي الدين قاموا بالدعاء لهم بالتوفيق بعدما عاتبوه على هذا إلا انه طمئنهم على سلامة أبناءهم طوال الرحلة ومن تقاليد الرحلة أن يقدم له كسوة ويقدم له كل واحد ثلاثين دور فضية. زاد المسافر في الرحلة يكون على النحو التالي صاع من الكسكسي وصاع ونصف تمر وقربة سمن و بعض لحم القديد وقربتين من الماء ودلو من الجلد لسقي الجمال و إبرة خياطة ومشعلة و أدوية طبية هي مطحون أعشاب ، على أن تكفي هذه المؤونة مسافة الوصول إلى لمنيع مع انه كل واحد يكون معه بندقية ومسدس و سيف. لتتطرق القافلة بأربعة و ستون جملاً أربعة للبضائع و جمل للأمتعة لتوزع المهام فيها بعد على بين أفراد القافلة على حسب التقسيم الذي اشر ت إليه سابقاً ثم قدمت نصائح بخصوص الرحلة .

4- مسار الرحلة الصحراوية من متبلي بغرداية إلى عين صالح

قليل هي المصادر التي تركز على وصف القافلة الصحراوية التجارية، خاصة كيفية التحضر لها و مكوناتها، و الطرق التي تسلكها، و الحواضر إلى تمر بها فأغلب الرحلة يركزون على المدن مباشرة ما فيها و كل رحلة يغلب على رحلته اهتماماته فان كان تاجراً يركز على السلع و الأسواق و الأسعار، حتى يُخيل إليك ان ذلك البلد الذي زاره ليس فيه اي عالم و لا مسجد، و نفس الشيء للعالم و الفقيه فانه يُخيل إليك، انه لا سوق فيها و لا اي نظام سياسي ، و لهذا سنتتبع مسار هذه الرحلة بالتركيز على الحواضر التي مرت به (سعيدوني، 2019) .

4.1 وصف حاضرة القليعة ..المنيع (المدني، 1963)

بنيت في قمة جبل كلها بالحجارة (العياشي، 2012) يزعم السكان أنها تعود إلى الرومان ولها باب واحد من جهة الغرب، كما يوجد بها بئر للتزود بالمياه ويؤكد انه يعود إلى عهد الرومان لأنه لا احد يعرف تاريخ حفره. القليعة كان يسكانها زناتة من توات (المدني، 1963) إلا أنهم طردوا منها من طرف شعانة المواضي الذين يسيطرون عليها الآن، يغلب على نشاط سكانها تربية المواشي مثل الأغنام والماعز والإبل ويسكن السكان في القلعة وبعضهم نجده في الخيام حول المدينة، كما يمارس النشاط الزراعي (الله، 2011) والتي يمارسها سكان الخيام والقصر (محمد العربي الزبيري: 1984، ص 163). رواية حصار السبع سنوات لها من طرف التوارق على القليعة، وكيف احتال السكان عليهم في قضية افشال الحصار بنشر البرانيس البيضاء للتدليل على أن السكان يغسلون والهواء متوفر كما اشعلت النيران ليلا في كل مكان دلالة على وجود الحطب، كما رمي قرب معسكر التوارق الرغيف والكسكس للتدليل على وجود المؤونة فكانت هذه الحيلة كافية لان يرفع التوارق هذا الحصار (ناصر الدين سعيدوني: نفس المرجع 2019، ص 69-71).

أقامت القافلة في القليعة سبعة أيام هو كانت تقوم به القوافل في العادة لزيارات وتجديد المؤن وإراحة الجمال وإصلاح كل الإعطاب وسماع أخبار الطريق من القوافل القادمة وحين سمع بخبر أن هناك توارق يعترضون القوافل في الطريق بين تيميمون والمنيعية بحث عن تدعيم القافلة برجال من الشعانة ولكنه لهم لم يجدوا فاعلبيهم انتقل مع القوافل إلى توات إلا أنهم غادروا المدينة لان الخبير يعرف كل التوارق ولهذا فقافلتهم آمنة في الطريق. يختم توقف القافلة في المنيعية بسرد قصة الضيافة فيها في قصة مؤثرة كيف استضافهم احد سكانها رغم أنهم سئلوا عن ابنه لم يقل أي شيء رغم إن ابنه توفي بحادث سقط من السطح ولم يظهر أي حزن لضيوفه (الرحمان، جوان 2023).

4.2- وصف حاضرة تيميمون :

يذكر أنها من إقليم توات وانه دخلها من الجهة الشمالية الشرقية، وانه يحدها المغرب من الغرب أي أنها ليست إقليم مغربي، وهي مقسمة على خمس دوائر هي: المحارزة وعاصمتها تابلوكوزة وقورارة عاصمتها تيميمون ووقروت عاصمتها القصبه الحمراء وتوات وعاصمتها السبع وتيكيدلت وعاصمتها عين صالح (ناصر الدين سعيدوني: 2019 ص 75-79). يفوق عدد قصور منطقة توات عدد أيام السنة كما هو شائع بين السكان، ويقسم سكانها إلى قسمين كبيرين هما السكان الأصليون وهم من يسكن القصور وهم بربر زناتة ويتكلمون الزناتية وامتزجوا مع الزنوج بفعل الزواج من زنجيات وسكان الخيام هم من العرب والذين نادرا ما يتزوجون الزنجيات لهذا لم تختلط دماءهم، فيفتخرون بهذا ويحتقرون من يختلط من سكان زناتة يحافظون على اللغة العربية ولا يتعاملون بالزناتية إلا في المعاملات التجارية، إلا أنهم يعيشون في وئام وسلام مع أهل توات، ونظرا

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما (دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م

لاختلاطهم في المعاملات فإنهم يتشابهون في اغلب الأمور مع أهل البلد الأصليين في اللباس والأخلاق ولا يختلفون إلا اختلافاً بسيطة. فيتميز لباس بربر الزناتة بلبس العباية الصوفية وسروال من القطن وقد يطرز أسفله ويرتادون الشاش (دوماس: 2013، ص 382-383)، يحلقون نصف شعورهم كل شهر ، ويضعون حلقة فضية في أذانهم ولا يتوشمون ، أما النساء يرتدين عباءة وحاءك يغطي كل الجسم يربط عند الفم ويضعن أساور الذهب والفضة على أذرعهن ، أما طعامهم فهو رغيدة أو حساء المحضر بالشحم مع الدقيق يأكلونه بالتمر الطازج. أما لباس عرب توات يلبس برنوس أو اثنين حسب الفصل مع شاشية تربط بخيط من وبر الجمال ، ويرتدي نساءهم اللائي لهم مكانه الحجاب ، أما طعامهم فيكون تمر يغلى مع المرق ويسقى به الكسكس يشترك العرب و زناتة في بلاد توات بلبس التمائم لإيمانهم بالخرافات واستهلاك التبغ ، وفي سوق تيميمون بعنا الفؤوس وقطع الحديد والمرجان و العطور، وربحنا فيها بضعف سعرها ، وقمنا بشراء الحياك و التي تباع بأسعار مرتفع في بلاد السودان (محمد العربي الزبيري، المرجع السابق ، ص 165-170).

يتكون قصر تيميمون من 500 او 600 بيت وحوله بساتين النخيل وله ثلاث أبواب هي باب أولاد إبراهيم باب تادمايت و باب تيمغرات ولها خمس أبواب أخرى صغيرة وحول القصر خندق جاف عمقه 12 قدوما و عرضه سبعة أقدام وحولها سور عرضه ما بين سبعة وثمانية أمتار تعلوه أبراج مراقبة ذات طابقين يمكن أن تجمع ثلاث او أربع رجال، وتقسم المدينة إلى تسعة أحياء لكل منها مسجد خاص أكبرها مسجد اما غريوز. كما تتميز المدينة بتنظيم أسواقها لكل منهم رحبة خاصة بهم و هي سبع رحبات ، وهذا ما يبين أهميتها كم منطقة تبادل وعبور تجاري مهم لكل من المغرب و تونس و التل والصحراء مع بلاد السودان لهذا يمر التجار بها من كل البلاد (دوماس 2013 ، ص 385-391)، ولهذا تجد بها كل البضائع خاصة الأسلحة وفي وسط المدينة تقع قلعة فوق ربوبة هي الخزنة التي يحفظ فيها السكان ثرواتهم وهي مقسمة إلى أربعة قسما ولها باب واحد وهي محروسة دوما. يكمن ضعف المدينة في أن المياه التي تزود بها تأتي من خارجها فبمجرد تخريبها أو السيطرة عليها ولقد بني هذا بعد حادثة الاعتداء عليها ونهبها ورغم الشكوى لسلطان المغرب إلا انه لم يفعل أي شيء مما جعل السكان يعلنون الاستقلال عنه. يسير القصر مجلس من الأعيان يمثل كل منهم حيا و يرأسهم الأكثر تأثيرا ويفرض رأي الجماعة على الجميع بعقوبات التغريم إلا القاتل يدفع الدية وينفى عاما فان لم يستطع دفع الدية ينفى إلى الأبد من القصر و تصل قيمة الدية إلى 400دورو .

4.3- زاوية سيدي عمر (ناصر الدين سعيدوني : 2019، ص 79-82)

تتوسط الطريق بين بلاد توات و اقليم تديكلت (محمد الصالح حوتية: 2008، ص 43-45) (ينظر دوماس : 2013، 379-380). تتبع منطقة ارقريت ، توقف عنده القوافل بما عين ماء تسمى عين الفقراء ، ولها سور بارتفاع قامه رجلين ، وبما قلعة في وسطها لحفظ الأموال كما هو معمول به في اغلب قصور توات ، يتعامل سكانها بالتجارة كثيرا وهي زاوية بها ضريح ولي صالح اسمه سيدي عمر ، وكان الناس قديما يزورونه ه إلا انه بعد وفاته أصبحوا يزورون قبره في سبع ليال يقضونها في اللهو عوض العبادة كما كان يريد هو من قبل و حولها بساتين نخل والتين ، وتنتج من القمح ما يكفيها ، ونظرا لجودة تمورها فأنها مقصد اغلب التجار ، ثم يقدم لنا لمحة تمور توات وأنواعها الثلاث الحمراء والبيضاء والمبكرة ويشير إلى غلة تمورها مقارنة مع نخيل ورقلة و ميزاب وكيف تحفظ التمور وفاهميتها في الغذاء و المبادلات التجارية مقايضة وموسم غرس النخيل وكيفية الاعتناء بها كما أشار إلى نظام الخماسية برقع المحصول ونصف الحطب .في زاوية سيدي عمر اغلب السكان سودا فقط زعيمهم الحاج عبد القادر هو الوحيد الأبيض يمتلك ما بين 700 إلى 800 نخلة.

4.4- القصة الحمراء:

في قصر صغير يتكون من حوالي 140 أو 150 منزل تنتشر بها زراعة الحنة و التبغ من النوع الجيد بها عين تسمى العين الزرقاء (ناصر الدين سعيدوني : 2019، ص 82).

4.5-زاوية البلبالي

تبعد عن القصب الحمراء بـ 12 فرسخا إلى عب منها ، واسم قصرها تيمي ولكن اخذ الشهرة باسم زاوية البلبالي والبلبالي توفي فقط منذ بضع سنوات وكان عالما مشهورا وكله كتبه وفناويه معروفة في المغرب ومكة ولهذا كانت زاويته يأتيها الطلبة من كل مكان (ناصر الدين سعيدوني: 2019، ص 82-83).

4.6- حاضرة عين صالح (: دوماس: 2013، ص 380)

أول ما يلاحظ أن المترجم كتبها إن صالح (أمحمد جعفري و عبد الرحمان بعثمان: 2020 م ، ص 313.) و(سامر كريم: 2018، ص 301)، تتميز المدينة بأنها الوحيدة في الصحراء بلا صور ويعود هذا لتحالف سكانها الأقوياء مع التوارق ولهذا في لا تهاجم (دوماس: 2013، ص 381)، يتكون القصر من 500 إلى 600 بيت ولها عين في وسط القصر تسمى عين بن يعقوب و يوجد في جنوبها بساتين النخيل (دوماس : 2013 ص 383.) وتحيط بها الرمال من باقي الجهات. تسير أمورها كباقي القصور مجلس أعيان كله من العرب يرأسه الحاج محمد ولد مختار وهو من قبيلة أولاد مختار العربية (دوماس: 2013، ص 382).، اغلب السكان من الزوج أو المولدين يتقاسم معهم العرب الأرض ، كما يوجد بها بعض البيض من التوارق يسكنون منطقة جنوب تيدكالت في أكواخ

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما (دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م

(دوماس: 2013، ص 382)، كما خيمت بالقرب منهم قبيلة عربية هي قبيلة أولاد بوحمو تعيش هذه القبيلة مع التوارق جيرانهم في وئام وسلام لأنهم يتكون منهم الفرسان الأشداء لابن الشيخ الحاج ولد مختار يكونون شرطته التي يؤدب بها مخالفه وجيرانه (دوماس: 2013 ص 384). غير أنهم يمتنون للصوصية في الغالب .

5- قافلة مكة (ركب الحج) إلى عين صالح :

هي ركب الحج ، وكان وصولها يعتبر مسوما واحتفالا لهذا قام زعم الجماعة في عين صالح بالبراح لقدموها لإعلام الناس ، والتي ستتوقف غرب اولف (قدي عبد المجيد: بدون سنة نشر، ص 19-40). قرب زاوية تسمى زاوية أولاد الهيبة ، وهنا طلب من السكان الاستعداد لاستقبال الحجاج ، وهنا تحرك اغلب الناس إلى اولف العروش هم (أولاد مختار و أولاد بوحمو وأولاد قاسم وأولاد الحاج وأولاد سيدي الحاج محمد والدغامشة وأهل مليانة و قوستين والسالتين وزاوية الحاج بالقاسم وفقارة زوا) تصطحبهم الموسيقى والخيول ويلبسون أحسن اللباس ويرفعون الرايات (دوماس : 2013، ص 380). كانت قافلة الحج تتكون من حوالي 2000 جمل وهي مقسمة إلى مجموعات كل منها يتكون من 10 إلى 150 جملا في شكل نظام كل قافلة لتضم منطقة أو عرشا (توات ، تافيلالت ، فاس، مكناس، أولاد سيدي يحي) والقبائل البريرية وهي (ايت عطا ، ايت دزدوق و ايت مركال) وكل منها راية خاصة بها تجتمع جميعها حول أمير الركب وهو في هذه السنة اسمه الحاج علي من عرش أولاد عديول في قرية بين فأس ومكناس اسمها عين الحمراء والذي تضرب له خيمة كبيرة حولها خيم اصغر خاصة رئيس كل قبيلة أو عرش وفي هذا المحفل يقع التبادل التجاري ببضائع الحجاج ومنها السباحات والأحجار الكريمة وماء زمزم وتربة مكة والمدينة التي توضع في أكياس صغيرة ويأتي السكان المحليون بالحليب والدجاج ولحم الإبل المطبوخ والتمر والفلول وكسكس لبيعته للحجاج في هذا الموقع ويطلب أهل المغرب العبيد الزنجيات من الحبشة و زنوج بونو و جلود الجواميس والعاج والأقمشة القطنية والصناديق والمرجان و المرايا والكحل والسواك والعطور واللبان والأسلحة بأنواعها والذهب والفضة وبهذا يكون وصول ركب الحج المار إلى المغرب محفلا كبيرا وسوقا تجارية (دوماس: 2013، ص 387-395). هذه القافلة طريقها بلاد التوارق عبر ليبيا تعبر طريقا بين غدامس و غات و تدفع الضرائب للتوارق ولأهل فزان وهناك قافلتان تنطلقان من منطقة اولف هما : قافلة زاوية مولاي الهيبة وتخرج كل سنة نفس الطريق وقافلة ثانية تخرج كل سنتين من فاس يمكن لسلطان المغرب إلغائها بحجة الحروب أو المجاعة (، أحمد جعفري و بعثمان: 2020، ص 315-317).

5.1 الخروج من عين صالح (ناصر الدين سعيدوني : 2019، ص 87-91).

كعادة السكان يرافقون كل قافلة تخرج خاصة الأقارب والأصحاب الذين يقعون مع القافلة إلى المحطة الأولى وهي حاسي ناقة كما هي عادة أهل البلد وهو من باب تشجيع المسافرين لأنهم ربما يذهبون فلا يعود ، ثم التوقف في منطقة تكثر فيها الحشائش كمرعى للجمال ومع المبيت فيها وبعد العشاء أعلن الخبير أو الدليل التارقي شقون النظام الذي سوف يسرون عليه وتعين كل في مهامه (براحا ، ودلال لبيع البضائع من يتوفى ، مؤذن للصلاة و إمام يصلي على الموتى والجماعات وخوجة كتاب يسجل تركة المتوفى ويسلمها لورثتها ومعها قدم كل التوجيهات والنصائح مثل ربط الجمال ليلا والحراسة ليلا مع إطلاق البارود دون رحمة ليلا وأن تكون الأسلحة دوما معكم وانه من الآن تكثر الأخطار في هذا الطريق فلا صديق إلا سلاحك الذي يجب أن يبيت معك وصاحب في كل مكان على الجميع أن يكونوا حذرين في كل لحظة وقال لهم لقد أصبحنا مدينة متنقلة. ثم خرجت القافلة إلى أن حطت رحالها قرب جبل المويدير و الذي به ثلاث آبار، وهو مكان معروف جنوب عين صالح ، وتجتمع عنده القوافل و قد وقعت فيه معركة بين الشعاب والخنافسة مع التوارق في العديد من المرات و يبدو أن المناخ هنا يتغير لكثير الأشجار والأعشاب و الحيوانات فيه من كل الأنواع كما تكثر الطيور ويبدو أن هذه أخر منطقة حيث لم يشر فيها إلى أي حاضرة أو قصر وهنا يمكن أن نقول انه خرج من منطقة تديكالت ، حيث يذكر انه بعد وجد سكان يسكنون الخيام من الجلود وهذه الجماعات تسمى جماعة سوكمارن وهم جماعة من التوارق المختلطين وهم اقل درجة في مكونات المجتمع التارقي يعيشون على الصيد وبعض من يجنونه من نباتات من الجبال.

الخاتمة

إن أهمية الصحراء بالنسبة للفرنسيين بدت واضحة منذ بداية الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر ، و لهذا بعدا ما تراجعت المقاومات الوطنية الشعبية الكبرى ، مثل مقاومة الأمير عبد القادر و مقاومة الحاج احمد باي سنة 1847م، و بعد تمكنهم من الوصول إلى بسكرة سنة 1844م بدأ تخطيطهم للتعرف و التوغل في الصحراء فكانت هذه الكتابات مثل ما أورده الجنرال اوجين دوماس و هو المكلف بشؤون المكاتب الأهلية او العربية فكانت هذه الرحلة إلى منطقة عين صالح انطلاقا من مدينة متليلي ، عبر كل من المنيعه وتيميمون و قصر زاوية سيدي عمر والقصبه الحمراء و عين صالح ، و الأكيد أن هذه الوصف لهذه القصور يمكن ان نستخلص منه العديد الجوانب الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و العمرانية و السياسية. كما أن هذه الرحلة دونت لنا احتفالية وصول موكب الحج لمدينة عين صالح بكل التفاصيل خاصة وصف الموكب و أميره و خيامه و تنظيمه و كيف كان السكان يعتبرون هذا الحدث و كأنه موسم احتفالي ديني و تجاري ينتظرونه كل سنة.

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما (دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م

بعد هذا العرض لمسيرة القافلة من مدينة متليلي إلى عين صالح، التي قدمت لنا صورة عن سير القافلة في بداية القرن التاسع عشر يمكن أن نخلص للنتائج التالية:

1. أهمية المصادر الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر خاصة من جميع الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية خاصة في منطقة الصحراء.
2. معرفة محطات طريق القوافل ما بين متليلي وبلاد السودان والتي هي واضحة جدا من خلال مسار القافلة فمن غرداية إلى متليلي إلى المنيعه وصلا إلى عين صالح .
3. التعرف على أهم البضائع بين الأسواق التي تنقل من الشمال إلى الجنوب وأهمية هذه البضائع بالنسبة لكل منطقة .
4. دور قبيلة شعابنة متليلي في الحركة التجارية بين منطقة غرداية و السودان عبر المنيعه وعين صالح حيث أن القافلة هي من أبناء متليلي .
5. أهمية مدينة غرداية كأخر سوق في الصحراء الوسطى للتزود بالبضائع العابرة للصحراء الوسطى والتي أغلبها تمر وقمح و أعشاب عطرية وأعشاب طبية وحديد وأسلحة وبارود ومرجان إلى بلاد السودان الغربية وأنواع هذه البضائع .
6. ترتيبات القوافل التجارية ومكوناتها و تنظيماتها فانه قليل من المصادر التي فصلت في هذا الجانب (الدليل هو السيد في القافلة وفيها براح و مؤذن وامام وكاتب).
7. أهمية معرفة محطات المياه والتي تمثلها الآبار في الصحراء وخطورة هذه الأماكن لأنها معروفة بأماكن توقف القوافل مما يسهل عملية تعرضها للصوص وقطاع الطرق في الصحراء.
8. إن الطريق من متليلي إلى عين صالح امن عموما وهذا ما جاء خلال نص الرحلة ولكن دليل الرحلة عبر للجميع انه ما بعد عين صالح عليهم أن يكونوا أكثر احتياطا لان الطريق فيه مخاطر كبيرة من كل الأنواع .
9. أن القوافل كانت تمثل مدنا متنقلة بمعنى الكلمة حيث يوجد فيها كل شيء كما هو في المدينة.
10. أهمية ركب الحج من الناحية التجارية فكل منطقة يمر عليها يعتبر احتفالا سنويا، وفترة تبادل تجاري و البضائع المتبادلة فيه حيث انه له محطات المعروفة ويبره بالبراح ويخرج كل الناس.
11. تنظيم ركب الحج حيث انه رغم انه ركب واحد ولكن لكل قبيلة و كل قصر له رئيس وراية خاصة ومسيرة وقافلة لوحده ويحافظ على هذا التنظيم طوال رحلة الحج.

12. أن طريق القوافل هذا وما به من قصور التي تمر بها قد تركت أثرا اجتماعيا تمثل في التمازج الاجتماعي بين المناطق حيث نجد أن التجار والخبراء بالطريق لهم أكثر من زوجة عبر هذه الطرق ففي كل حاضرة كبيرة نجد لهم زوجة وأبناء.
13. هذه القوافل الصحراوية وإن درسها البعض فقط من الجانب التجاري فإنها هي التي وأسست لروابط اجتماعية بين الحواضر الصحراوية وذلك بالزواج والتعارف، و لهذا حاليا نجد امتداد قبيلة الشعانبة في اغلب المناطق التي ممرات للقوافل سابقا سواء في الصحراء الشرقية او الوسطى خاصة.
- و في الأخير اخلص إلى مجموعة من التوصيات و التي منها :
- ضرورة ترجمة ما كتبه الأوروبيون حول الصحراء الجزائرية منذ القرن التاسع عشر إلى ما بعد الاستقلال، ونشرها، و هذا لا يمكن انجازه إلا بمخابر بحث أكاديمية يتعاون فيها أهل التاريخ و مؤسسات الترجمة الجامعية.
 - عقد ملتقيات حول القوافل الصحراوية التجارية العابرة للصحراء الجزائرية خاصة في الفترة العثمانية و خلال القرن التاسع عشر.
 - انجاز خريطة مسارات القوافل الصحراوية للوصول الى تفسيرات علمية لهذه المسالك.
 - عقد ملتقيات حول الحواضر الصحراوية خاصة دراستها من الناحية الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية و الصحراوية.

حاضرة عين صالح وما حولها في منتصف القرن 19 من خلال كتاب أوجين دوما (دوماس): طريق القافلة من الصحراء إلى مملكة الهوسا سنة 1848م

المراجع

1. . بيشي رحمة و ثابت جميلة، يهود منطقة وادي ميزاب خلال القرن الثالث عشر هجري / التاسع عشر ميلادي، دار صبحي للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2014، .
2. . دوماس : المشير دو كدي دوماس: الصحراء الجزائرية ، ترجمة قندوز عباد فوزية، غرناطة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013.
3. . سامر كريم: التراث الجيولوجي في الجزائر- المستحثات بمنطقة عين صالح – أنموذجا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، المجلد 6 ، العدد 11، سبتمبر 2018.
4. . عبد الحميد مسعود بن ولهة: الحركة الوطنية و الثورة التحريرية بناحية غارداية إداريا و تنظيميا، دار صبحي للطباعة و النشر ، غرداية ، الجزائر ، 2013
5. . أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر ، 2017، .
6. . ابو القاسم سعد الله. (1987). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 5). الجزائر، الجزائر: مؤسسة الكتاب.
7. . ابو القاسم سعد الله. (2011). مجموع الرحلات (رحلة الاغواط). الجزائر، الجزائر: دار المعرفة الدولية للنشر و التوزيع.
8. . ابو سالم عبد الله بن محمد العياشي. (2012). لقط الفرائد من ماء الموائد مختصر الرحل العياشية. الرباط ، المملكة المغربية: منشورات دار التوحيد.
9. . احمد توفيق المدني. (1963). كتاب الجزائر (المجلد الثانية). البليدة ، الجزائر: دار الكتاب و دار المعارف.
10. . أمحمد جعفري و عبد الرحمان بعثمان: طرق القوافل التجارية العابرة إن صالح خلال القرن التاسع عشر و العشرين من خلال من خلال كتب الرحالة و المستكشفين، مجلة عصور الجدية مخبر تاريخ الجزائر ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، المجلد 10 ، العدد 1، 1414هـ/مارس 2020 م .
11. . الشيخ لكل: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين (1851-1908م) دار صبحي للطباعة و النشر و التوزيع، غرداية ، الجزائر ، 2019.
12. . علي بريغيث: صورة الجزائري في الأدب الفرنسي الكولونيالي، مجلة أنسنه للبحوث و الدراسات ، جامعة زياني عاشور، المجلد 11 العدد 20 سنة 2020.
13. . قدي عبد المجيد: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة دراسة تاريخية —ثقافية اجتماعية، بدون دار نشر و لا سنة النشر.

14. محمد الصالح حوتية : آل كتنة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2088
15. محمد العربي الزيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
16. محمد عبد الحليم بيشي: تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية ، دار زمורה للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013.
17. ناصر الدين سعيدوني و معاوية سعيدوني: الصحراء من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر ، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، سنة 2019.
18. نواصر عبد الرحمان . (جوان 2023). *الدور التاريخي والحضاري للمياه في مدينة لمنيعة في الفترة الحديثة والمعاصرة (مقال)*. البيض ، الجزائر: مجلة الانسان و المجال المركز الجامعي نور بشير.
19. يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية ، المطبعة العربية ، غرداية الجزائر ، 2014.